العدد في اللغة العربية

— ٢ —

العدد في علم النحو

اذا اطلق لفظ العدد في علم النحو فإنما يراد به الألفاظ الدالة على الأعداد . ولكن النحويين أو جلهم لم يكتفوا بهذا بل كانوا يعرفون العدد بما عرفه به الرياضيون من علاقات عددية تفسر طبيعة تكوين العدد ، أو ينطبق عليها اي عدد كان . وقد قدمت اكثر هذه التعاريف في مقدمة البحث ولا حاجة بي الى اعادتها الآن ويكفي ان اشير هنا الى أن كثيراً من النحويين ككثير من الرياضيين قد اخرجوا الواحد والاثنين من العدد لأنه ليس للواحد إلا حاشية واحدة بعده وهي الاثنان وهو يساوي نصفها فخرج بذلك عن أحد تعاريفهم للعدد ، هذا من جهة ومن جهة أخرى لأن الجواب عن السؤال بكم حينما يكون متعلقاً بالواحد او الاثنين لا يكون بلفظهما وانما بلفظ الواحد او المثنى من الشيء المراد الاستفسار عن كميته بعكس سائر الأعداد فانما يجاب على الأسئلة عنها بالعدد الدال على الكمية مصحوباً بالشيء المعدود الدال على الجنسية .

وليس من بحث في علم النحو كله فيه من الشذوذ والخروج عن القواعد المألوفة للغة العربية ما في بحث العدد فيكاد يكون لنفسه قواعد خاصة كثيرة المخالفة لقواعد النحو العربية العامة وكثيرة التفرع والانحراف فيما بينها بحيث أننا نرى نصاً قديماً يخالف القاعدة التي تستنتج من نص قديم آخر . ونرى ظاهرة أخرى في بحث العدد في علم النحو وهي كثرة مسائله ونواحيه التي تتعلق به وتشتق منه والتي يختلف النحاة في مأخذها وفهمها ودراستها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أشار الى هذا الشذوذ في علم العدد أكثر من واحد من الباحثين في النحو سواء من القدماء أو الباحثين المستشرقين فنرى ابن يعيش في ص ٢٧ من الجزء السادس من شرح المفصل يلاحظ أنهم شذوا في العدد في كل شيء فذكروه مع المؤنث وأنثوه مع المذكر وسكن الحجازيون شين عشرة حينما تستعمل مركبة للمؤنث وكسرها التميميون مع ان لغة الحجازيين في وزن مثلها كسر الثاني ولغة التميميين إسكانه فيقول الحجازيون نَبِقَة ويقول التميميون نَبْقَة أما في العدد فقد انعكس اللغتان وكذلك ثنوا عشرة على عشرين بكسر العين خلافاً للقاعدة .

وما لاحظه الزمخشري وابن يعيش صحيح وهو بعض من كل وسأشير الى كل شذوذ في موضعه من البحث .

وزاد الطين بلة أن النحويين لم يكتفوا — شأنهم في كل أبحاثهم النحوية — في استخراج القواعد الرئيسية العامة من اللغة الغالبة وتقديمها أمثلة تحتذى في الكتابة بل تمسكوا بكل مثال سواء أكان جاء على لغة شاذة أو كان موضوعاً أو خطأً وحاولوا ان يخرجوه ويضعوا له قاعدة تنطبق عليه اكثر من ان يطلبوا ان ينطبق هو على القاعدة العامة فجاءت تأويلاتهم سمجة يظهر فيها التمحك والتصنع وزادت في تعقيد هذا البحث بحيث تجعل المطلع عليه او الباحث فيه في حيرة فلا يدري ما يدع وما يأخذ حتى إنه ليمعن في الخطأ والتردد كلما أمعن في البحث والاطلاع وكان يكفي بعد إيجاد قواعد عامة مستخرجة من الشواهد والنصوص المشهورة المتداولة في الاستعمال ان يهمل ما عداها وان يصاغ او يجمع لهذه القواعد الأمثلة بحيث يطلع الباحث على صورة استعمال هذه القواعد وعلى أمثلتها فيحفظها بالتكرار والاستعمال والممارسة دون ان يجد حاجة إلى حفظ مثل هذه القواعد الجافة التي تذهب ببهاء اللغة ورونق الأدب وتكره الطالب باللغة العربية . ولكن كان في نفوس النحاة ما يشغلهم عن توخي المصالح العامة وخدمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العلم للعلم على ما يظهر فكيف يستطيعون بغير هذا التصعيب ان يكونوا مؤدبين لأبناء الملوك في القصور ولأولياء عهودهم ومن أين لهم ، لولاه ، بالذهب الذي كان يغدقه عليهم الأمراء بسخاء ولم يكن هذا ما يضطرهم الى هذه الطريقة في البحث فقط بل كان عقلهم قد طبع على الجدل والمنطق الجاف فأدخلوا كثيراً من الفلسفة والمنطق في أبحاث النحو واللغة فأفسدوها ولهذا السبب نجد كثيراً من التعليلات النظرية لأمثلة شاذة او مألوفة وردت في اللغة وكثيراً من النظرات المنطقية والفلسفية التي يشهد الله أن اللغة والنصوص الأدبية وطبيعة اللغة براء منهـا وكانت هذه الفلسفة في النحو ، وبصورة خاصة في بحث العدد منه الذي هو موضوع بحثنا الآن ، ثالثة الأثافي في زيادة غموضه وتعقيده .

ونلاحظ أننا إذا جردناه من هذه التعليلات الفلسفية — التي هي فلسفة النحو اكثر مما هي نحو — والمنطقية وأبعدنا عنه ما ورد من الشواهد في لغات شاذة استطعنا ان نقربه من أفهام طلبة المدارس الثانوية وغيرها بحيث يكون مستساغاً عذباً وخصوصاً اذا مرنوا على استعمال تعابيره كثيراً دون تلقن قواعده مجردة جافة وهذا برغم ما في قواعده العامة ايضاً من شذوذ ولكن بعض الشر أهون من بعض وما لا يدرك كله لا يترك جله .

وقد رأيت بعد دراسة العدد في مراجع مختلفة ان أعالج البحث بحيث ألم به ما استطعت من جميع اطرافه وأقدمه بشكل واضح بسيط مفهوم بريء من التعقيد والتكلف وآثرت ان اتكلم اولاً على الفاظ العدد منفردة والآراء المختلفة فيها وكيف تكون بعضها من بعض ثم عن المعدود معها حين يكون جنساً في الحالات المختلفة وفي كلا الأمرين أقدم تعليلات علماء النحو للأوضاع المختلفة والألفاظ المتعددة ثم أتكلم على المعدود حينما يكون اسم جنس وحينما يكون اسم جمع وحين يكون جمعاً ثم حينما يكون محذوفاً مقدراً وتنوب عنه صفته وحينما لا تنوب عنه صفته وإنما يفهم من السياق ثم حين يكون وصفاً ثم حين يكون موصوفاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم أتكلم على حال الصفة حين ترافق معدوده ثم حين يكون مرادفاً بلفظين أحدهما مذكر والآخر مؤنث ويشملهما معاً أو يعد كلاً منهما على انفراد وأنتقل بعد ذلك الى تعريف العدد والمعدود وإضافة العدد الى مستحقه ثم أتكلم على النسبة الى العدد وأنتقل بعد ذلك الى الصفات العددية المشتقة من ألفاظ العدد والتي تفيد اعطاء درجته او رتبته تفيد الترتيب كما يقول الفرنجة — في استعمالاتها المختلفة ووجوه إعرابها والأفعال المشتقة من اسماء العدد ثم أتكلم على الفاظ الأعداد المعدولة وسبب منعها من الصرف ثم على الأبعاض والكسور والفاظها ثم على الألفاظ التي تدل على اعداد وليست داخلة في الفاظ سلسلة الأعداد الطبيعية بل فيها شيء من الإبهام ثم عن كلمة النيف وبضع وبضعة واستعمالاتها في اللغة ثم على التأريخ بالليالي والأيام وأنهى البحث بالكلام على كنايات العدد كم وكأين وكذا وتمييزاتها .

وقبل ان ابدأ البحث لا بد لي إنصافاً لجهود النحويين ان اقول ما قيل في دائرة المعارف الاسلامية من أن ملاحظاتهم النحوية والصرفية تدل على ملكة ملاحظة غاية في الدقة ولكن ينقصها الهدف او التصور العام الذي يضعه المؤلف امامه ليوجه نحوه الآراء والبراهين فهي جهود عظيمة إذن ولكنها مبعثرة بدون نظام عام يجمع لآلئها ليكون منها عقداً ثميناً .

* * *

ألفاظ العدد

استعمل العرب للعدد اثنتي عشرة لفظة رئيسية ذكرتها في المقدمة وهي : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ، عشرة ، مائة ، الف وما بقي من الأعداد إنما يؤلف من اقترانها إما بالعطف او بالتركيب واما بالاشتقاق منها كما في اشتقاق أحد وإحدى من واحد وواحدة ثم تركيب المشتق مع غيره من الفاظ العقود .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويلاحظ من هذا أن الصفر لم يعد بين الأعداد لأنه لم يكن معروفاً لدى قدماء العرب من جهة ولأنه إنما يدل على فراغ لا على عدد محسوس ولا يزال الخلاف في عده من الأعداد وعدمه قائماً الى الآن وان اتفق على انه الحد الفاصل بين الأعداد الموجبة والسالبة من جهة وبين الكسور والأعداد الصحيحة من جهة أخرى ولاحظنا سابقاً ايضاً كيف لم يعد نحاة العرب ورياضيوهم الواحد وحتى إن قسماً منهم لم يعد الاثنين ايضاً من العدد وبينا وجهات نظرهم في ذلك مما لا ضرورة لإعادته .

فلفظ الواحد مؤنثه واحدة وقد اختلف فيه فقيل أنه اسم موضوع للدلالة على الفرد الواحد من المعدود وإنه ان استعمل صفة فبتأويل مشتق كقولك مررت بقاع عرفج كله اي خشن ومررت برجال ثلاثة اي مررت برجال معدودين بثلاثة (شرح المفصل لابن يعيش اول البحث) .

وقيل إنه مشتق من وَحَد يحِد بمعنى انفرد ينفرد فالواحد معناه المنفرد وعلى هذا فهو صفة مشتقة من فعل واطلق في العدد لأن الواحد العددي يدل على معنى الانفراد وقال بعضهم إنه اسم جامد موضوع لمعناه حين يستعمل عدداً وانه مشتق من الفعل حين يستعمل صفة كقوله : إنما الله إلٰه واحد ، فذكتا ذكة واحدة . والذي أراه معقولاً ان يكون موضوعاً للدلالة على العدد باديء ذي بدء لأنه أقرب شيء الى الحسية والبساطة ثم اشتق من لفظة فعل للدلالة على الانفراد كما اشتق منه أحد والمعروف في واحد انه لا يصاحب المعدود ليدل على إحصاء الكمية وذلك لأنه يجاب عن السؤال بكم فيما يخص الواحد باسم الجنس من الشيء المعدود مفرداً فتقول عندي رجل او كتاب لمن يسألك كم كتاباً عندك او كم رجلاً وإذا عقبته بلفظ واحد فمن قبيل تأكيدك الشيء بالنعت لا اكثر من ذلك ولا اقل ويدل على ذلك مجيء لفظة الواحد في هذا المقام متأخرة عن المعدود ولا يجوز ان تقول جاءني (واحد رجل) وعلل النحويون ذلك بأن قولك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رجل بالتنكير يدل على الوحدة الى جانب دلالته على الجنسية فلا حاجة لاستعمال الواحد معه ويلاحظ في الجدول الذي قدمناه في الفاظ العدد في اللغات السامية الخمس ان الألفاظ مقاربة للفظ أحد في هذه اللغات مع بعض الإبدالات اكثر من مقاربتها للفظ واحد ونلاحظ في اللغة العربية ان واحداً لا يستعمل مركباً مع عقد العشرة فلا يقال واحد وعشرة وإنما يستعمل بدله لفظ مشتق من لفظه هو أحد ومؤنثه إحدى اما في بقية العقود من عشرين الى تسعين وما تتركب معه فيجوز استعمال واحد وأحد على السواء والأكثر استعمال أحد وإحدى وهذا ما يرجح ان تكون وَحَدْ المأخوذة منها أحد هي الأصل ويؤيده اشتراك اللفظة مع بعض التحريف في بقية اللغات السامية .

وفي المقابل نرى أن أحد وإحدى لا تستعمل في العربية منفردة بل مركبة مع العقود فلا تقول جاء أحد من الرجال او إحدى من النساء وتقصد به عدداً وإنما يجوز استعمالها مضافين للضمير وللاسم الظاهر اذا كانا متضمنين معنى الصفة .

وإحدى مؤنث أحد أنثت على غير القياس والقياس أحدَة او أحدَى بالألف المقصورة ولذلك اختلف في ألفها المقصورة فزعم بعضهم انها للتأنيث وقال آخرون انها للإلحاق بفعلل لأنها جاءت على غير القياس ولتفريق العدد عن الصفة في لفظ أحد وعن أحد المنفية التي يراد بها الكثرة والعموم .

وواحد التي للعدد لا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث اما واحد التي هي صفة فتثنى وتجمع فيقال واحدان وواحدون ووحدانا .

اما لفظة أحد فقد اختلف فيها وذلك لأنها تستعمل مع مؤنثها إحدى في العقود كما مر وتستعمل في الجمل المثبتة صفة او نعتاً كما في : « قل هو الله أحد » او صفة منقولة الى الاسمية لكثرة التداول في مثل : « وجاءته إحداهما تمشي على استحياء » او بمعنى لفظة واحد الاسمية مستعملة في غير العدد بتأويل مشتق كقولك انت أحد في اخلاقك وشجاعتك وتستعمل ايضاً للدلالة على معنى العموم والكثرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في مثل قولك ما جاءني من أحد وهذا ما يعبر عنه في بعض اللغات الغربية بأنها جاءت ضميراً غير معرّف او غير معين ٠

فقال بعض النحاة انها في كل حالاتها مشتقة من وَحَدَ بمعنى واحد ابدلت الواو همزة وانث اللفظ على إحدى واخذ منه أحد التي تستعمل في الإثبات للدلالة على معنى الانفراد وهذه يجوز جمعها على آحاد ووحدان كما اخذ منه أحد المستعملة في النفي ، وقال آخرون ان « أحد » المستعملة في العقود وأحد المستعملة في الإثبات مشتقة من وَحَدَ وأنه يجور جمعها وتأنيثها واما أحد المستعملة في النفي لتدل على معنى العموم والكثرة فهي موضوعة لهذا المعنى وليس لها صلة بالأولى وقالوا إن من الأدلة على دلالتها على معنى العموم والكثرة قوله تعالى : « فما من أحد عنه حاجزين » فوضعت بالجمع كما قالوا ان لفظ المفرد قد يطلق على الجمع وقالوا إن الدليل على انها غير الأولى ايضاً أنها لا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث ولا تدل على المعنى الذي وضعت من اجله مع غير النفي ٠ والصحيح عندي انها نفسُ الأولى وإنما أكسبها الاستعمال وخصائص التعبير معاني خاصة ميزتها وليست هذه الميزات راجعة في الحقيقة الى لفظها وإنما هي راجعة الى تركيبها في صيغ خاصة ومثل هذه الحالة من انتقال لفظة من معنى الى آخر أو اكتسابها معاني اضافية جديدة موجود في كل لغات العالم ويسوق اليها واقع الحياة وحاجاتها اليومية وتطور البيئة الاجتماعية ولم يدع مدع في هذه اللغات وجود مثل هذا التغاير من حيث الوضع في نفس اللفظة كما يدعي ذلك علماء النحو والعربية ٠

ولفظ واحد معرب وكذلك واحدة وتظهر عليه الحركات الثلاث وكذلك أحد وإحدى مع ملاحظة الألف المقصورة في إحدى فتقدر عليها الحركات الثلاث وقالوا إن التنوين لم يلحق إحدى في المركب العددي « إحدى عشرة » للتركيب ويلحقها في إحدى وعشرين وقال في التصريح على التوضيح ص ٢٧٤ الجزء الرابع :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« إنما استعمل أحد وإحدى في العقود بدل واحد وواحدة حتى لا يلتبسا بالصفة فإن واحداً وواحدة يكونان صفة وهذا غير صحيح لأن أحداً وإحدى يستعملان خبرين عن المبتدأ مضافين الى الضمير ، والخبر بمنزلة الصفة ، كما يستعملان صفتين صريحتين ايضاً ويقارب هذا الرأي مع بعض اختلاف رأي ابن يعيش في شرح المفصّل ص ٣٢ من الجزء السادس إذ يعتقد بأن « واحداً » اسم في الأصل قال : « والدليل على ان واحداً اسم وإن جرى إعرابه على ما قبله قولهم مررت بنسوة أربعٍ بالتنوين والصرف ولو كان صفة لم ينصرف كما لا ينصرف أوحد وواحد مثله في باب العدد وهذا الضرب لا يثنى ولا يجمع من لفظه بعكس ما يقصد به الصفة فتقول أحدان ووحدان وآحاد وكذلك لا يؤنث فلا تقول واحدة والاحتياج الى التأنيث عدل الى صيغة أحد وإحدى ولم يكن التأنيث هنا بالتاء كراهية ان تكون على حد الصفة نحو حسن وحسنة ولهذا عدل الى تغيير العلامة وغير معها البناء من واحد وواحدة الى أحد وإحدى »

وذكر ابن يعيش من جملة استعمالات أحد استخدامها لتدل على غير معين نحو « جاءني أحدهم » وتستعمل للدلالة على واحد من اثنين معلومين دون التصريح بدقة عن المقصود منهما كقوله تعالى : « فجاءته إحداهما تمشي على استحياء » .

ولفظ اثنان مؤنثه اثنتان وهو ملحق بالمثنى في اعرابه في الرفع بالألف والنون وفي النصب والجر بالياء والنون وانما كان ملحقاً بالمثنى لا مثنى لأنه لا واحد له من لفظه ويقول بعض النحاة إنه لفظ موضوع لمدلوله ويقول آخرون إنه مأخوذ من ثنيت الشيء اذا عطفته وهو محذوف اللام وصارت الهمزة في اوله كالعوض من المحذوف والمؤنث اثنتان ألحقوا به تاء التأنيث « كابنتين » ولك ان تقول ثِنْتَيْنِ كبنتين (المفصل لابن يعيش) ومن قال « ثنتان » بدل « اثنتان » كانت التاء فيه للإلحاق كأنه تثنية ثنت ملحق بجذع فهو كبنتين وإنما كان كذلك لأنه ليس اصلها التأنيث كما كان في ثلاثة وأربعة وذلك لأنه لم يوجد فيهما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من قوة التضعيف ما وجد في سائر الأعداد فيُحتاج الى علامة تدل على قوة التضعيف والمبالغة فيه (ابن يعيش ص ١٩ الجزء السادس) .

وما ذكره ابن يعيش هنا من اشتقاق لفظ الاثنين من ثنيت الشيء أي عطفته فيه نظر والمرجح عندي ان فعل ثنيت مشتق من الاثنين لا العكس لأن لفظة الاثنين من حيث قانون الحياة توحي بأنها اقدم استعمالاً من « ثنيت » للحاجة الطبيعية اليها و كثرة رؤية الانسان لما هو مثنى في الطبيعة التي حوله ولأني ارجح ان يكون الاسم الجامد اقدم من الفعل الذي يشاركه في اللفظ . ولا يجوز إضافة لفظ اثنين واثنتين الى المعدود باعتبارهما عددين لنفس السبب في منع ذلك في واحد وواحدة وإنما يستعملان بعد المثنى كصفة او تأكيد له فلا تقول جاء اثنان رجل واذا قلت جاء اثنان رجلان لم يجز الا اذا اعتبرت « رجلان » بدلاً من « اثنان » لا على انه تمييز لهذا العدد وذلك لأن لفظة رجلين تدل على العدة والجنسية بنفس الوقت فلا حاجة لذكر العدد معها وقال ابن يعيش (ص ١٦ ج ٦ من المفصل) إنه يجوز في الشعر إضافة اثنين واثنتين الى المعدود لأن التثنية في الأصل جمع لأنه ضم الشيء الى الشيء وذلك قياساً على ثلاثة رجال واورد شاهداً على هذا قول الشاعر :

كأن خصييه من التدلدل ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

وقال إن الشاعر جاء به على اصل القياس ضرورة بخلاف ما عليه قياس الاستعمال والصحيح ان هذا البيت شاذ لا يجوز الاستشهاد به ولا يجوز للشعراء ان يأخذوا به .

والفاظ الثلاثة واخواتها الى التسعة مصحوبة بالتاء حين تكون مجردة من المعدودات وتحذف منها التاء اذا كان المعدود مؤنثاً وتبقى معها اذا كان المعدود مذكراً وإنما كان الأصل في هذه الألفاظ التأنيث في رأي ابن مالك (ص ٣٧٠ من التصريح على التوضيح ج ٤) لأن الثلاثة واخواتها اسماء جماعات كزمرة وأمة وفرقة فالأصل أن تكون بالتاء لتوافق نظائرها فاستصحب الأصل مع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المذكر لتقدم رتبته وحذفت مع المؤنث فرقاً لتأخر رتبته وقال بعضهم إنها تلحقها التاء ولا تنصرف لأنها أعلام خلافاً للآخرين . وقال ابن يعيش (في شرح المفصل ص ١٩ من الجزء السادس) : « وإنما كان اصل العدد التأنيث للمبالغة بالإشعار بقوة التضعيف وذلك لأنه لا شيء فيه من قوة التضعيف ما في العدد فيما يظهر للعقل فيشعر بالعلاقة أن له المنزلة هذه وجرت علامة التأنيث في العدد مجراها في مثل علامة ونسّابة للإشعار بقوة المبالغة في الصفة وتضاعفها في المعنى . »

وذكر في دائرة المعارف الاسلامية أن التعليلات التي يقدمها العرب لهذا الوضع في اللغة ليست مقنعة وقال : « لما كانت هذه الأعداد منفصلة عن معدوداتها مصحوبة بالتاء في الأصل لهذا حفظت هذه الأوضاع الأصلية للمذكر أما المؤنث الذي هو فرع عن المذكر فأعطى له الشكل الثانوي الذي هو فرع عن الأصل ، وقال : « أما علماء الأوربيين (مثلاً رايت Wright ، § ٣١٩ بحث العدد ملاحظة ٥٣) فانهم يرون في هذه الحادثة دلالة على انه كان يراد رفع الطبيعة المادية المجردة عن العدديات المحصية (Cardinaux) حتى تتميز عن الصفات المرافقة (adjecdtifs dependonts) .

ورأى بعضهم أن ألفاظ العدد بين ثلاثة وعشرة إنما كانت وهي مجردة عن المعدودات مؤنثة في الأصل لأنها مبهمة لا تدل على شيء فناسب الإبهام ان تكون كأضعف الجنسين فتلحقها علامة التأنيث واستعمل الأصل مع المذكر وحذفت التاء تمييزاً مع المؤنث .

وكل هذه الحلول في الحقيقة مجرد آراء نظرية لا أظن أنها تمت الى الواقع بصلة وكان الخير كل الخير ان لا نشغل أذهاننا بمثلها بل نأخذها على انها ألفاظ موضوعة على ذلك ارتجالاً دون تفكير منطقي في وضعها وأظن ان العامل الأول في ذلك هو موسيقى الألفاظ الطبيعية ففي حالة النطق بالأعداد مجردة عن معدوداتها نجد راحة في النطق أكثر اذا ألحقنا بها التاء واستعملت الأعداد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على هذه الصورة مع المذكر وميز عنه المؤنث بحذف التاء مع الأعداد المرافقة له .

ولفظة ثمانية من بينها تمتاز حينما تحذف تاؤها في مرافقة المعدود المؤنث بأن تفتح ياؤها لأنها مفتوحة في ثمانية ويجوز إسكانها كما في معدى كرب ويقل حذفها مع بقاء كسر النون لأنها ياء زائدة فتحذف وتبقى الكسرة دليلاً عليها فأشبهت « يا عبادي فاتقون » ونقل حذفها مع فتح النون لأنها لما كانت تضم في الآخر اذا كان الآخر النون كقوله :

لها ثنايا اربع حسانُ واربع فثغرها ثمانُ

فقد جعلت فتحة بناء على التركيب .

ويجوز في عشرة تسكين الشين وفتحها ونقل عن بني تميم كسرها وذلك حينما تكون في العدد المركب وعلل ابن يعيش (ص ٢٧ ج ٦ من المفصل) دخول الكسر عليها في المؤنث بأن عشرا منفردة تدل على مؤنث فلا يصح دخول التاء عليها للتأنيث فلما أرادوا تأنيث الصيغة كسروا الشين لتكون لفظة جديدة يصح دخول التاء عليها ثم خفف اهل الحجاز ذلك فسكنوها . وانا لا أرى في هذا التعليل الا مجرد سفسطة لأن الناطق بهذه اللغة حين وضعها بالأصل لم يكن له عقل ابن يعيش المتفلسف .

وهذه الألفاظ الثمانية تضاف الى معدودها فيقال ثلاثة رجال وثلاث نسوة وتعرب بالحركات الثلاث في آخرها إلا ما ذكرنا من حال ثماني حين تحذف تاؤها مع المؤنث .

ويتكون لفظ احد عشر من تركيب لفظة أحد — التي جاءت بدل لفظة واحد كما ذكرنا سابقا — الى عشر تركيباً لا يفصل فيه بينهما حرف عطف وفي هذا التركيب تُذكّر اللفظتان مع المذكر فيقال أحد عشر رجلاً وتؤنثان مع المؤنث فيقال إحدى عشرة امرأة وقد مرت حالات حركة الشين في عشرة حينما تكون مركبة هذا التركيب فيما سبق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك لفظ « اثنا عشر » يتكون بنفس الطريقة من إضافة لفظة اثنين الى عشر واثنتين الى عشرة مع حذف النون حين إضافتها وذلك لأنه لا يجتمع تنوين واضافة وهنا اللفظتان أيضاً مذكرتان مع المذكر ومؤنثتان مع المؤنث ويلاحظ في احدى عشرة واثنتي عشرة أنه اجتمع في كل تركيب علامتا تأنيث وهما بحكم أنهما تركيبان كل تركيب منهما له حكم الكلمة الواحدة كان يجب ان يكتفيا بعلامة تأنيث واحدة وعلّل الصبان (ص ٤٨ من حاشيته ج ٤) ذلك بأن الألف المقصورة كأنها جزء من الكلمة وان « اثنتان » لا واحد لها من لفظها فبنيت اللفظة على التاء حين ركّبت .

والفاظ الأعداد من ثلاثة عشر الى تسعة عشر تتألف من تركيب النّيف الذي هو الآحاد البسيطة بين الثلاثة والتسعة مع العقد الأول الذي هو العشرة تركيباً له قوة الكلمة الواحدة لذلك فلا يتوسط الكلمتين حرف عطف والعدد الأول منها الذي هو النيف يكون بعكس المعدود فيؤنث مع المذكر ويذكر مع المؤنث أما العقد الذي هو عشرة فيكون في هذا التركيب وفق المعدود وهذه التراكيب العددية بين أحد عشر وتسعة عشر ومؤنثاتها ليست متصرفة ما عدا اثني عشر ومؤنثه فان صدره معرب بعكس عجزه فهو مبني على الفتح والجزءان في هذه التراكيب مبنيان على الفتح وهما مرتبطان الواحد بالآخر بقوة بحيث ان الزمخشري كما قيل في دائرة المعارف الاسلامية لم يبحث عنها فقط في اسماء الأعداد بل في الأسماء المركبة أيضاً وقيل في دائرة المعارف ايضاً إن هذه الأعداد المركبة قد انصهرت في كلمة واحدة في الآرامية وفي لغات الحديث العربية الشائعة وفي الحقيقة أصبح كل من هذه التراكيب في اللهجات العامية بقوة الكلمة الواحدة ففي مصر مثلاً يقال بدل أحد عشر واثني عشر « حِدْعَشَرْ » و « طِنْعَشَرْ » وفي اللهجة الشامية نرى الامتزاج أشد فيقال « إدعش » و « طِنْعَش » وهكذا في بقية اللغات العامية في مختلف الأقطار العربية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولفظة ثمانية عشر من بين هذه التراكيب تمتاز بأنها إذا ركبت مع عشرة في حال المعدود المؤنث وحذفت منها التاء يكون فيها اربع لغات : فتح الياء وسكونها وحذفها مع كسر النون وفتحها ومنه قوله :

« ولقد شربت ثمانيًا وثمانيا وثمان عشرة واثنتين وأربعا »

وقال الصبان « ص ٤٩ ج ٤ من حاشيته على الأشموني » إن الأعداد المركبة إنما بنيت لتضمنها حرف العطف بين جزءيها فان ظهر العاطف منع التركيب والبناء لفقد المقتضى كقوله :

« كان بها البدر ابن عشر واربع » . واختلف في وجوب تقدم العقد على النيف في هذه الحالة وعدم وجوبه وأضاف بعضهم أن الجزء الثاني من التركيب نزل من الأول منزلة التنوين فكان منعها ما هو في قوة الكلمة الواحدة فمنعا من الصرف شأن الأعلام المركبة .

وأجاز بعضهم اعراب المتضايفين — أي المركبين — فيعرب الأول بحسب العوامل والثاني يجرّ على أنه مضاف اليه وقال ابن مالك في التسهيل (ص ٥١ ج ٤ شرح الأشموني) :

« ولا يجوز باجماع ثماني عشرة الا في الشعر يعني بإضافة الأول الى الثاني دون اضافة المجموع كقوله :

« كلف من عنائه وشقوته بنت ثماني عشرة من حجنه

وقال الأشموني : « وفي دعواه الإجماع نظر فان الكوفيين يجيزون اضافة صدر المركب الى عجزه وقال صاحب التصريح على التوضيح (ص ٢٧٤ ج ٤) في تعليل بناء التركيب العددي على الفتح إنه « إنما كان كذلك لتعادل خفة الفتح ثقل التركيب أما بناء الكلمة الأولى فلأنها نزلت منزلة صدر الكلمة من عجزها وأما بناء الكلمة الثانية فلتضمنها حرف العطف وقيل لوقوعها موقع التنوين والاسم اذا وقع موقع الحرف يبنى » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد اختلف النحاة في اثنين واثنتين المركبين مع العقد فقال قوم بأنهما معربان وقال آخرون أنهما مبنيان واختلفوا كذلك في تعليل بنائهما وإعرابهما قال في التصريح ص ٢٧٤ ج ٤ : « يعرب اثنان واثنتان المستعملان في العقود لوقوع ما بعدهما موقع النون وليسا مضافين للعقد وقيل مضافان اليه وعلى ذلك فالعقد مبني لتضمنه معنى حرف العطف وذهب ابن كيسان وابن درستويه الى أن اثنين واثنتين مبنيان مركبان مع العقد كسائر أخواتها وردَّ بأنهما ليسا كذلك وإلا لزما الياء المقابلة للفتحة في المفرد .

والتركيب العددي لا يضاف الى معدوده كما في ثلاثة رجال وإنما يكون معدوده معه فضلة « تمييزاً » .

ولفظ عشرين وبابه من العقود يستوي فيه المذكر والمؤنث فنقول رأيت عشرين رجلاً وعشرين امرأة وهو ملحق في إعرابه بجمع المذكر السالم فيرفع بالواو والنون وينصب ويجر بالياء والنون وقيل كسرت العين من عشرين للدلالة على على المؤنث وجمع بالواو والنون للدلالة على المذكر ولذلك صح استعمالها للجنسين وابن يعيش (ص ٢٧ ج ٦ من شرح المفصل) يضعف الرأي محتجاً بثلاثين ثم لا يلبث حتى يذكر قولاً يذهب نفس المذهب في ثلاثين وأخواتها محتجاً بأن لفظة ثلاث من ثلاثين مأخوذة من المؤنث وأضيف الواو والنون أو الياء والنون إليه للدلالة على المذكر ويذكر رأياً غريباً آخر هو أن ثلاثين معناها عشر مرات ثلاثة فلما اراد العرب قياساً عليها أن يعملوا مثل ذلك في عشر مرات اثنين وجدوا أن « اثن » لا يستعمل الا مثنى فاشتقوا ذلك من العشرة وكسروا أولها لأن همزة اثنين الموصولة مكسورة فاستمدوا الكسرة منها .

وألفاظ العقود الباقية ذهبوا فيها مذهبهم في ثلاثين فهي مطَّردة عليها ولا تضاف هذه العقود لمعدوداتها لأن النون فيها كالتنوين تمنع من الاضافة ولأنها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا تعمل عمل الفعل الذي جعله النحاة مشتقاً من كل منها كما سنرى في باب المشتقات من أسماء العدد

ويعطف العقد على الأعداد البسيطة بين الواحد والتسعة التي نسميها النيف وتعطفه على كل منها الواو ، وأحد واثنان بعد العشرين وأخواته يذكران مع المذكر ويؤنثان مع المؤنث أما ثلاثة وتسعة وما بينهما فتذكر مع المؤنث وتؤنث مع المذكر كما لو كانت مفردة فتقول ثلاثة وعشرون امرأة وثلاثة وعشرون رجلاً حتى تسعة وتسعين رجلاً .

ولفظتا المائة والألف يستوي فيهما المذكر والمؤنث ويضافان الى معدودهما ويعربان بالحركات حسب العوامل .

وتثنى مائة على مائتين وتعرب اعراب المثنى ويضاف مثناها الى معدوده ويتساوى فيه المذكر والمؤنث .

وتجمع على مئين وتعرب إعراب الملحق بجمع المذكر السالم كما تجمع جمع المؤنث السالم على مئات وفي هذه الحالة لا يكون مع جمعها معدوده الا مسبوقاً بمن اذا وجد وقد ورد جمع مائه على مئي في بيت شاذ لأحد العرب واقتن النحاة في تخريجه وكم كان جميلاً لو جعلوه من باب الخطأ أو الشذوذ واستراحوا منه وأراحوا وقد أورد هذا البيت ابن سيده (في مخصصه ج ١٧ ص ١٠٧) والشطر الذي فيه الشاهد :

« وحاتم الطائي وهاب المئي »

وخرجه تخريجات كثيرة منها أن المئي ج مائة والياء للإطلاق كقولك تمرة وتمر ج تمرة أو أنه أراد المئ وأصله المِئِي على وزن فعيل وجاء على لغة بني تميم لأنهم يكسرون الفاء من وزن فعيل اذا كانت عينه حرف حلق وأصله مئِيٌ ويتكلم في الذاهب من المائة في هذا الجمع أهو الواو أم الياء وفي كلا الحالين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يؤول اللفظ الى مئي ويذكر أن بعضهم قال إنه اراد ان يقول مئين واضطره الى حذف النون نظام الشعر وعندي أن هذا هو الأرجح .

وجاءت مائة مفردة شذوذاً في العقود بين ثلاثمائة الى تسعمائة وذلك لأن من حق الأعداد بين الثلاثة والتسعة أن تؤنث مع المذكر وهذا قد حصل في هذه العقود فعلاً ثم ان يكون المعدود معها جمع قلة مضافاً اليه ولفظ مائة في لفظة ثلاثمائة مفرد ولذلك عد ذلك شذوذاً وعلل ذلك صاحب المفصل (ج ٦ ص ٢٤) بأن مائة استعملت دون مئين او مئات لأن ثلاثمائة أشبهت عشرين في أنها تنتهي الى الألف الذي ليس من لفظتها كما أشبهت الثلاث في الآحاد فأخذت من الواحد الإفراد ومن الثاني الجر ويدل على صحة هذا أنهم قالوا ثلاثة آلاف درهم لأن عقدها عشرة آلاف من لفظها لأنها جرت على منهاج ثلاثة أبواب .

قال سيبويه وليس بمستنكر في كلامهم ان يكون اللفظ واحداً والمعنى جمعاً وهذا يكون عند عدم اللبس وأنشد شاهداً عليه :

كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص

والشاهد هنا استعماله بطنكم بدل بطونكم . وكل هذا في تعليل إفراد مائة في عدد ثلاثمائة مجرد كلام لا يستند الى واقع او منطق لغوي صحيح .

أما الألفاظ الغريبة المستعملة حديثاً في اللغة العربية فهي تعامل معاملة الألف تماماً وليس فيها شذوذ فالمليون الذي هو الف الف يجمع على ملايين ويضاف الى معدوده كالألف . ويجمع مليار على مليارات وتريليون على تريليونات وكاترليون على كاترليونات وهكذا . وقد شاع استعمالها ويمكن الاستغناء عنها بتكرير الألف عدداً من المرات بقدر الضرورة كما كان يفعل العرب ولكن ذلك قد يوقع في الخطأ ولا مانع من استعمال هذه الألفاظ الأجنبية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأصل في الأعداد حينما تكون مجردة من المعدودات أن يوقف عليها بالسكون . قال صاحب شرح المفصل ص ٢٨ «والعدد موضوع على الوقف أي تقف على الأعداد بالساكن لأن المعاني الموجبة للإعراب مفقودة وكذلك اسماء حروف التهجي وما شاكل ذلك اذا عُدّدت تعديداً ، فاذا قلت هذا واحد ورأيت ثلاثة فالاعراب فيها كما تقول هذه كاف ورأيت جيماً لأنها ليست على الحد الذي يستوجب الاعراب فلا تقع مواقع الأسماء فتكون فاعلة ومفعولة ومبتدأة ويؤيد ذلك ما حكاه سيبويه من قول بعضهم: «ثلاثهربعة» فالتاء عندما أخذت حركة همزة اربعة وتحركت بقيت هاء ولم تصر تاء . فان وقعت اسماء الأعداد موقع الأسماء أعربتها تقول اربعة تفضل ثلاثة بواحد» .

واذا تأملنا في الفاظ الأعداد التي مرت نجدها على أربعة أنواع : نوع مضاف الى معدوده مثل «ثلاثة رجال» وأخواتها ونوع مركب كاللفظة الواحدة ولا يضاف الى معدوده مثل أحد عشر وأربعة عشر ونوع مفرد غير مضاف ولا مركب وهو عشرون وأخواتها ونوع معطوف جزءاه أحدهما على الآخر مثل أحد وعشرون واضرابه .

وتتركب بعد المائة اعداد مثل مائة وثلاثة عشر تشمل المعطوف والمركب وهي فرع عن المعطوف إذا اعتبرنا المركب عدداً واحداً وله حكم اللفظ الواحد .

يتبع : نعيم الحمصي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net